

الأحد 26-12-2010

## 1213- مازال المطلوب هو: "معارضة تلبس مزبكية!"

## تعتة الوفد

لبس المزبكية لها حكاية عشتها في أوائل الأربعينات، ونشرتها في مقال هنا في الوفد (2001/3/4)، وخلصتها: أني كنت في زفتي وكانت فرقة موسيقى البلدية تعزف كل يوم جمعة، وهي تمر في الشارع الرئيسي، بعض الألحان الوطنية وخلافه، ..كان العازفون ثلاثة أو أربعة، لكن المطلوب أن يبدو فريق العزف أكثر عددا .. فكان الباشجاويش المسنول، أو شيخ الحارة، لست أذكر، يستأجر بعض الناس المناسبين، ..، ويلبسهم لباس العازفين، ويمسكهم آلات موسيقية كيفما اتفق، ويشترط عليهم ألا يقتربوا منها أصلا، فقط يشوحن بأيديهم، أو ينفخون أصداغهم وهم يسرون مع العازفين الحقيقيين. خلاصة القول أن لبس المزبكا لا يتطلب عزفا أصلا، بل إن شرطه الأساسي للحصول على الأجر، ألا يقترب لابس المزبكا من الآلة التي يلبسها مع الرداء الخاص"

قلت في نفس المقال حرفيا منذ عشر سنوات: "... المسألة اتضحت بلا خفاء: إن المطلوب، أو المسموح به، هو إنشاء أحزاب "تلبس مزبكا"، تنشر مبادئها وأمالها على صفحات صحفها كما تشاء، لكن ممنوع أن تقترب من أوتار آلات العازفين الأصليين على أعلى الكراسي العالية. مسموح بأحزاب تفسر الأحلام، وتفتح مدارس لتعليم الخلاقة، وتصدر صحفا جيدة، وصحفا رديئة، وصحفا نصف نصف، بل مسموح جدا ولدرجة غير مسبوقه أن تنشر هذه الصحف كلاما مثل الذي أكتبه الآن، وهذا وحده دليل على أن الكتابة في الصحف هي من أجل ملابس المزبكا. يلبسها من يريد أن ينضم إلى "صفوف" فرقة العازفين على شرط ألا يقترب من أية آلة من آلات العزف على كرسى السلطة، فإذا سمح للبعض من الاقتراب من آلة السلطة (آلة العزف)، فيمكن أن يقوم بشد الأوتار، أو تلميع صندوق العود الخشبى، أو تسخين جلد الطبله، أما أن يطمع أحدهم في أن يشارك في العزف، فبعيدا عن شاربه، فإذا تجرأ وتمادى وتصور إمكانية أن يصبح مايسترو، (أو يؤلف لحنا) فعينك لا ترى إلا النور في ليلة القبض على النغمة النشار التي تجرأت أن تفسد اللحن الأساسي

## انتهى المقتطف!!

أليس هذا هو شكل المعارضة التي يمكن أن "تُجاز" بعد عشر سنوات، وإلى أن يشاء الله؟

ما هو المطلوب بالضبط من هذا الشعب الصبور؟ أن يعارض أم أن يؤيد؟!!

أن يسمع الكلام، أم أن يتكلم أى كلام، ما دام أنه مجرد كلام (ربما مثلما أفعل الآن)!!؟

المتابع لبهجة وفرحة وأحضان وقبلات الحكومة (= الحزب) بعد مصيبة النتائج الأخيرة الساحقة الماحقة، لا بد أن يكتشف أن أحدا منهم لم يبلغه حجم المصيبة، لكن لماذا التعميم؟ ربما عاد بعضهم إلى تذوق هذه النتائج من جديد فوجدها ماسخة، فاترة، فراح يفكر أن يضيف إليها بعض بهارات وفلفل المعارضة، لتصبح حريفة "سبايسى" يمكن بلعها.

لكن يبدو أن الفرصة لم تعد سائجة من ناحية الأحزاب التي امتنعت بشكل أو بآخر عن لبس المزيكة، يبدو أنها تعلمت وهي تتساءل أين ذهب الرعب الفظيع من التغيير الذي غمر الحكام قبل الانتخابات بشهور وأسابيع، رعب من المحظورة حتى بعد أن بادرت بكسر حاجز مقاطعة الانتخابات، ورعب من البرادعى حتى بعد أن تأكدت أنه مصرى طيب ليس له في السياسة أصلا، أين ذهب هذا الرعب وكيف حل محله كل هذا الخرس الشديد على أيها رائحة لمعارضة مهما كانت شكلية؟

أعود أتمثل حدس ناسى وهم يسخرون مما تفعله الحكومة وهي تلبس بعض المعارضين الجدد "مزيكة" ليكملوا منظر الآلات العازفة نفس اللحن، أتصور ناسى وهم يسخرون ويرددون على لسان الحكومة وهي تتحايل على المعارضين أن يعارضوها على خفيف، قائلة: "والنبي عارضنا"، "سابق عليك النبي لتعارضنا، إنت حاتعارضنا والا اجيب لك المحظورة تعارضك وتعارضنا؟

قبل الانتخابات مباشرة، حين بدى أن الحكومة حريصة كل الخرس على مشاركة الناس المعارضين بالذات فيها، تصور الكثيرون أنها أفرت أخيرا دور المعارضة الحقيقية حتى لو هدت بتداول السلطة، فشارك من شارك في الترشيح، وانتخب من انتخب بأمل ما في التغيير حتى ظهرت النتائج الأولى، وعزاها أغلبهم إلى التزوير، ويبدو أن الحكومة (أعنى الحزب) قد فوجئت بانسحاب حتى الذين كان أمامهم فرصة للنجاح الحقيقي أو المدعوم من إكمال المباراة غير المتكافئة افتعلا، أتصور أن المفاجأة وصلت الحكومة (الحزب) متأخرة، فراحوا يتحايلون على المعارضين وأن يظلوا في الصورة ليعارضوا (نصف نصف)، كما راحوا يتلكأون في قبول المستقلين للعودة إلى الحزب، حرصا على بقائهم مستقلين مع توصيتهم بأن يتحركوا سرا: خطوة إلى اليسار: وأخيرا لاح في الأفق ما يشبه الدروس الخصوصية لتدريب بعض نواب الحزب الساحق كيف يعارضون جدا بالسلامة، (معارضة "كده وكده").

توضيح آخر حضرني حالا رحلت أستلهمه مما وصلني طفلا من قريتي هذه المرة، وهى حكاية من حدس فلاح مصر الفصيح، أرجو من

القارئ الأفندي (بما في ذلك نصف المجلس من العمال والفلاحين) أن يتحملني قليلا وأنا أحكيها، إذ قد لا يفهمها إلا فلاح "أراري" مثلي.

تحكى هذه الحكاية التي صارت مثلا ينبه إلى ضرورة فقس "كهن" الفلاح المصرى الجميل، وهى حكاية تحاول أن تنبه الجيران ألا يأخذوا أى شجار ينشأ بين جار وزوجته مأخذ الجد، لأنه قد يكون شجارا "مصنوعا"، تتم من خلاله سرقة ما تيسر من أشياء الجيران.

تقول الحكاية إن زوجا (اسمه حامد) وزوجته (أمها اسها حركات) اعتادا تصنع الشجار فيما بينهما، وبعد أن تبدأ المشاحنات، تتعالى أصواتهما، ويهجم الزوج على زوجته وكأنه سيضربها، فتخرج من دارها إلى الشارع مولولة وهى تجرى لاجئة إلى إحدى الدور المجاورة، وتدخل "القاعة" أو "المقعد" التى تخزن فيه هذه الجارة جزار "زلع" سمنتها، وتغلقها من الداخل، ويجرى وراءها زوجها متباطئا وهو ممسك بيده عصا يلوح بها، والناس بما فيهم صاحبا الدار اللاجئة إليها الزوجة، يهدونهم ويطيّبون خاطرهم، أما الزوجة فتخرج "الحق" من صدرها أو من جيب سيالتهاء، وتملؤه بما تيسر من سم، ثم تخرج بعد أن يطمئنوها أن الزوج قد هدأ، وأن الصلح خير... إلخ .

أثناء هذه المسرحية القصيرة يتبادل الزوجان السباب من وراء الجدران ليؤكدوا أنه شجار جمد. ذات ليلة تجرى إحدى هذه التمثيليات فى عز الشتاء، فتجد الزوجة أن السمن قد تجفد من فرط البرد، فلا تستطيع أن تغرف منه لتتملأ الحق، فتروح تصيح من وراء الجدار وكأنها تسب زوجها بأبيه "يابن كذا"، ثم يابن حامد جامد، فيرد عليها سبابا بسباب وكأنه يعايرها بأمرها قائلا "يابنت كذا وكيت، يا بنت حركيه بالعود"، والناس تصدق ما يجرى من مسرحية السرقة الذكية، وحقيقة الأمر أن الزوجة كانت تصيح بزوجه أن السمن "جامد"، وكأنها تسب أهله، فيرد عليها أن "حركيه بالعود" لتفك صلابته، وكأنه يسب أمها، وتتم السرقة المتفق عليها.

أليس هذا أشبه بما يجرى الآن لتدريب المعارضة المصنوعة؟

ألا يذكرنا ذلك بتمثيل أخطر حين يصلنا بين الحين والحين ما يبدو خلافا بين إسرائيل وأمريكا، وهم لا يفعلون ذلك إلا ليلهونا عن حقيقة الاتفاق السرى الاستراتيجى الدائم، الذى يحفظون به لسرقة الأرض، وإهانة العرض، وقتل الأبرياء؟ ونحن فرحون بالاختلاف بينهم. ألا يكون مثل هذا هو ما يكمن وراء بعض ما يتسرب إلينا (ولا تسريب ولا مجنون!!) من وثائق موقع "أسانج" مؤسس ويكيلكس

دعوى أعترف وأنا أختم المقال بأن أغنية ظريفة تتردد فى أذن رغما عنى تقول:

**"مهما الأيام تعمل فينا، ما بنستغناش عن بعضينا،"**

**"أرجوكو سيبونا حا تلقونا، حانصاخ بعض لوحدينا"**

تتردد الأغنية بلحنها الأسمى دون حاجة إلى أن ألبس لها مزىكة.